المحاضرة الأولى: الصرف وميدانه.

- تمهيد:

يعتبر النحاة ميدان الصرف هو الكلمة في حد ذاتها، ويعرّفونه بأنه« العلم الذي تُعرف به كيفية صياغة الأبنية العربية، وأحوال هذه الأبنية التي ليست إعراباً ولا بناءً »[1]. والصرف كذلك« تحويل الكلمة إلى أبنية مختلفة لضروب من المعاني... فتصريف الكلمة هو تغيير بنيتها بحسب ما يعرض لها »[2]. وذلك من حيث تصريفات الكلمة المختلفة، من إسناد الفعل إلى الضمائر وإلى الأزمنة؛ من ماض، ومضارع، وأمر، وتحويل المصدر إلى مشتقات؛ اسم فاعل، اسم مفعول، صفة مشبهة، اسم تفضيل، اسما الزمان والمكان، واسم الآلة. ومن حيث العدد؛ مفرد، مثنى، جمع. ومن حيث الصحة والاعتلال، وما يحدث من تغيير في بعض الحروف، أو إدغامها في غيرها، أو حذفها، أو نقل حركتها.

- الميزان الصرفي، مفهومه واعتباراته:

لم يكن مصطلح "الميزان" معروفاً بهذا الاسم منذ البداية، إنما اشتهر مصطلح "البنية" أو "البناء". إنما النحاة كانوا يعرفون أن لكلمة من كلمات اللغة بناء، أو بنية تؤخذ من أصل ما، ثم يشتق منها كلمات كثيرة مختلفة البنى، للدلالة على معان شتى. ثم اخترع النحاة فيما بعد لذلك مقياساً سُمّي "**الميزان الصرفي**"[3]، وهو مادة (ف.ع. ل)، واعتبروها مقياساً لكل الكلمات الأخرى، لكون الكلمة في العربية ذات أصل ثلاثي في الغالب. فقابلوا كل حرف من الميزان بحرف من الفعل؛ فقالوا: فاء الفعل، وعين الفعل، ولام الفعل. وعليه، فالفعل "كتب" مثلاً يقابل كالتالي: الكاف فاء الفعل، والتاء عين الفعل، والباء لام الفعل. ثم يزاد على الكلمة حروف تدعى "حروف الزيادة". فـ"كتب" ميزانه "فعل"، وكاتب - فاعل، ومكتوب - مفعول، مَكْتَب - مَفْعَل. وفي كل هذه التصريفات نجد الجذر حاضراً، وهو الحروف الثلاثة للكلمة (ك. ت. ب).

وبناء على هذا فالميزان الصرفي يتبع بنية الكلمة - فعلاً كانت أم اسماً - ويتبع حركاتها كذلك؛ مثل: وَجَدَ = فَعَلَ، وُجِدَ = فُعِلَ، عُمَرُ = فُعَلُ، خالدٌ = فاعلٌ. فإذا كانت الحركة مقدّرة في الكلمة ظهرت في الميزان الصرفي مثل: جَرَى = فَعَلَ، مُسْتَشْفَى = مُسْتَفْعَلٌ، القاضِي = الفاعِلُ... إلخ.

وإذا كان الفعل مضعّفاً، ضُعّفت عين الميزان كذلك؛ مثل: هَذّبَ = فَعّلَ، كَبّرَ = فَعّلَ، احمرّ = افعلّ، احمارّ = افعالّ. إلاّ إذا ثلاثياً مثل: شَدّ = فعَل (أصله شدَدَ = فَعَلَ). أو كان سداسياً، فيفكّ التضعيف في الميزان مثل: استمرّ استفعل، لأنّ أصله غير المنطوق هو استْمْرَرَ.

---

[1] - عبده الراجحي، التطبيق الصرفي، دار النهضة العربية، بيروت، 1973، ص7.

[2] - مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003، ج1، ص155.

[3] - لعل أول من استخدم هذا الاصطلاح هو الرضي الاستربادي (ت: 686 هـ). ينظر في ذلك: خديجة زبار الحمداني، أبحاث صرفية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 139 - 140.

وكذلك الأمر مع سائر الأفعال، إذ في كل مرة نعثر على جذر الكلمة الأصلي مهما تكن التصريفات، إلاّ في حالة حذف بعض الحروف، ويحدث ذلك في الأفعال المعتلة عادة.

- **القلب وأثره في الميزان الصرفي**: يقصد بالقلب استبدال حرف من الكلمة بحرف آخر لسبب من أسباب الإعلال، وذلك طلباً للخفة في النطق، وتحسين الأداء اللغوي، مثل: ضرب = فعل، واضطرب وزنه "افتعل"، وليس "افطعل"، لأنّ "الطاء" ليست من حروف الزيادة. نلاحظ هنا أن وزن "افتعل" يخلو من حرف الطاء، فمن أين جاء في الفعل اضطرب؟ إنّ الأصل في ذلك هو اضترب، أي زيادة الفعل الثلاثي بحرفين من حروف الزيادة وهما: الهمزة والتاء، ولأنّ الطاء ليست من حروف الزيادة، فإذن قد حدث قلب التاء طاء في الثلاثي المزيد، لأنّ فاء الفعل وردت صاداً. والقاعدة هي: إذا كانت فاء الفعل حرفاً من حروف الإطباق، أي صاداً أو طاءً، أو ظاءً، أو ضاداً، وأريد منها صيغة "افتعل"، فإن هذه الحروف تقلب طاءً، دوماً. وقد حدث هذا القلب لاجتناب الثقل في النطق كما هو معلوم عند النحاة.

ومثل هذا الكلام يقال في أمثلة أخرى، فيها اقتران حرفين يصعب النطق بهما معاً وهما متجاوران، مثل: الفعل "قال" الذي يشتق منه اسم الفاعل "قائل"، فالهمزة هنا ليست أصلية، فمن أين جاءت إذن؟ يقول الصرفيون: إن أصل الهمزة هنا واو، لأننا نجدها في تصريفات كثيرة للفعل "قال"، مثل: تقوّل، قوْل، مقول، قوّال، مقوال... إلخ، فانقلبت إذن من الفعل المضارع "يقول"، الذي من المفروض أن يكون اسم فاعله "قاوِلٌ"، ولمـّا جاءت الواو مكسورة بعد ألف قُلبت همزة للتخفيف. وهكذا مع سائر الكلمات التي تشبهها، والتي فيها واو، أو ياء أيضاً، بعد ألف مد مثل: طال، يَطُول، طاوِلٌ= طائِلٌ. باع، يبيع، بايِعٌ = بائع. إلخ...

أما الميزان فلا تغيير في حروفه، أي لا نقول إنّ وزن "بائع"، و"قائل" هو "فائل"، إنما هو فاعل، لكون حروف الميزان ليس فيها حرف علة، ومن ثم لا ينقلب أي حرف منها همزة ولا غيرها.

- **الحذف وأثره في الميزان الصرفي**: إذا حصل حذف عند تصريف الكلمة، يحذف كذلك من الميزان الصرفي ما يناسب الحرف المحذوف، مثل الفعل: قال = فعل، مضارعه يقول= يفعُل، والأمر منه قُلْ = فُلْ، فالحرف حذف هنا هو عين الفعل في الأمر لأنه حرف علة، فوجب حذفه في الميزان كذلك.

وقد يحذف الحرف من وسط الكلمة أو من آخرها، بحسب نوع العلة. ومن ثَمّ، يحذف ما يقابله في الميزان مثل: وهب = فعل، يَهَبُ = يَعَلُ، هَبْ = عَلْ. وأصل الفعل هو: يَوْهبُ في المضارع، اِوهَبْ في الأمر. فالمحذوف هنا هو الحرف الأول، أي الواو التي تمثّل فاء الفعل، وبقي من الفعل حرفان هما: الهاء التي تمثل عين الفعل، والباء التي تمثل لام الفعل. وهذا الحذف يحدث مع معظم الأفعال المثال (المعتلة الحرف الأول).

ونجد الحذف من آخر الكلمة في الفعل الناقص مثل: جرى = فَعَلَ، يجري = يَفْعِلُ، اِجْرِ = اِفْعِ. ففي الماضي والمضارع لم يحدث حذف، إنما كانت الحركات مقدرة على الحرف الأخير للتعذر أو للثقل، أما في حالتيْ الأمر والجزم فيحذف حرف العلة دائماً كما هو معلوم.

- **القلب المكاني**: يقصد به تغيّر مكان حرف في الكلمة إلى مكان آخر لسبب غير معروف أحياناً مثل: "حادي" المأخوذ من كلمة "واحد" المأخوذ هو أيضا من الفعل "وحد". وبالرجوع إلى أصل حروف هذه الكلمة قياساً على الميزان الصرفي، نجدها كالتالي: فاء الفعل هي الواو، وعينه الحاء، ولامه الدال؛ ومن ثمّ نجد أن وزن كلمة "حادي" هو عالف بدلاً من فاعل.

- **ملاحظة**: يحدث الحذف في الأفعال على الخصوص، وفي بعض الأسماء كذلك (المشتقات خصوصاً)، لاسيما اسم الفاعل المأخوذ من الفعل الناقص، كيفما كان عدد أحرفه؛ مثل: رعى = فَعَل، راعٍ = فاعٍ. وأصله راعي = فاعل، حذفت ياؤه لأنه اسم منقوص نكرة. ومثل: مهتدٍ = مفتعٍ، وأصله مهتدي = مفتعل، ومستفتٍ = مستفعٍ، وأصله مستفتي = مستفعل[4]. وهكذا... وهو حذف مؤقت؛ أي ما دام الاسم المنقوص قد ورد نكرة، أما إذا عُرّف بأَل، أو بالإضافة فلا حذف فيه. ومن ثمّ نقول في الأمثلة السابقة: الراعي = الفاعل، المهتدي = المفتعل، المستفتي = المستفعل.

ويحدث الحذف أيضاً في اسم المفعول المأخوذ من الفعل الأجوف، إذ تحذف عين الفعل المعتل منه كما في المثالين التاليين: قال - يقول - مقْوُول - مقُول، باع - يبيع - مبيُوع * - مبيع.

---

[4] - يحدث هذا الحذف في حالتيْ الرفع والجر فقط، أما في حالة النصب فتظهر الفتحة على الياء لأنها خفيفة، فيقال: استشرت محامياً، وليس استشرت محامٍ.

* للعلم فإنّ هذه الصيغة هي المستعملة في العربية الدارجة. وكأن اللغة الشعبية قد عادت بالكلمة إلى أصلها الذي استثقلته العربية الفصحى.

* **تطبيق أول**: هات الميزان الصرفي لهذه الكلمات مع العليل.

الكلمة	ميزانها الصرفي	التعليل
ارتقى		
مَهُول		
منطوٍ		
سائل		
دقيق		
متطوّر		
استيراد		

تطبيق ثان: هات تصريفات معادلة لهذه الأوزان مع التعليل.

الميزان	الكلمة	التعليل
متفاعٍ		
عَلْ		
عِلة		
مفعولات		
نَعِلُ		
فاع		
فلْ		
مفعّل		